

الفصل الثالث:

القواعد الشرعية في الدعاء

التمهيد

يتناول هذا الفصل دراسة القواعد الشرعية المتعلقة بالدعاء من خلال النظر إلى الأدلة الشرعية من الكتاب والسنة. والقواعد أمر كلي ينطبق على جزئياته^١، وهي عبارة عن الأسس والضوابط^٢، التي تنطبق على أشياء معينة. والمراد بالقواعد الشرعية في هذه الدراسة المبادئ والأسس المنصوصة في النصوص الشرعية المتعلقة بالدعاء التي ينبغي المحافظة عليها، ومراعاتها أثناء الدعاء. وكانت معرفة هذه القواعد والعمل وفقها ترسم معالم المنهج الصحيح في الدعاء، ومن ثم تجنب الاعتداء فيه، ومجازة الحد الذي حدده الشرع فيه.

^١ إبراهيم مصطفى وآخرون. د.ت. المعجم الوسيط. ج ١، ص ٧٤٨.

^٢ المرجع نفسه.

المبحث الأول:

القواعد الشرعية العامة في الدعاء

من نعم الله ﷻ وفضائله على عباده أن أتاح لهم فرصة الدعاء واللجوء إليه سؤالاً منه وتعوذاً به، فينبغي على الداعي أن يتوجه إلى الله ﷻ بالدعاء على الطريقة الصحيحة وفق ما أمره الله ﷻ في كتابه وسنة رسوله، وهذا يعني أنه من المهم ملاحظة النصوص الشرعية، وتدقيق النظر فيها بحثاً عن القواعد الشرعية التي ينبغي المتابعة بها والمحافظة عليها أثناء الدعاء، وهي كما يلي:

أولاً: العزم على المسألة أثناء الدعاء

المراد بالعزم في المسألة أثناء الدعاء هو المبالغة في الطلب، والحزم من غير ضعفٍ فيه^١، فقد جاء في حديث أنس أنه قال، قال رسول الله ﷺ: "إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيَعِزِّمْ الْمَسْأَلَةَ، وَلَا يَقُولَنَّ: اللَّهُمَّ إِنِّي سَأَلْتُ فَأَعْطَيْتَنِي، فَإِنَّهُ لَا مُسْتَكْرَهَ لَهُ"^٢. والحديث فيه دلالة على الاجتهاد والصدق في الدعاء، والحذر من اليأس والقنوط للوصول إلى رحمة الله ﷻ، قال ابن بطال^٣ (٤٤٩ هـ): "فيه دليل أنه ينبغي للمؤمن أن يجتهد في الدعاء ويكون على رجاء من الإجابة ولا يقنط من رحمة الله"^٤.

ويلاحظ أيضاً أن ابن حجر العسقلاني (٨٥٢ هـ) قد اهتم بذكر صورة تدل على العزم في المسألة أثناء الدعاء؛ وهو العزم والرغبة بالمبالغة في الدعاء ومواصلة تكراره والإلحاح فيه^٥، وقال أحمد بن نصر

^١ النووي. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. ج ١٧، ص ٦.

^٢ البخاري، محمد بن إسماعيل. ١٤٢٢ هـ. صحيح البخاري. د.م: دار طوق النجاة. كتاب الدعوات. باب ليعزم المسألة فإنه لا مكروه له. ج. ٧٤:٨. رقم الحديث ٦٣٣٨.

^٣ هو علي بن خلف بن عبد الملك بن بطال، أبو الحسن، عالم بالحديث، من أهل قرطبة، توفي سنة ٤٤٩ هـ، مصنف شرح صحيح البخاري.

^٤ ابن بطال، علي بن خلف. ٢٠٠٣. شرح صحيح البخاري. السعودية: مكتبة الرشد. ج ١٠، ص ٩٩.

^٥ ابن حجر. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج ١١، ص ١٤٠.

الداودي^١ (٤٠٢ هـ): "ليعزم المسألة أن يجتهد ويلح ولا يقل إن شئت كالمستثني ولكن دعاء البائس

الفقير"^٢.

ثانياً: ملازمة الدعاء وعدم الانقطاع عنه

جاء في حديث أبي هريرة أنه ﷺ قال: "لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةٍ رَحِمَ مَا لَمْ يَسْتَعْجِلْ، قِيلَ: يَا رَسُولَ اللَّهِ مَا الْإِسْتِعْجَالُ؟، قَالَ: يَقُولُ: قَدْ دَعَوْتُ وَقَدْ دَعَوْتُ، فَلَمْ أَرِ يَسْتَجِيبْ لِي، فَيَسْتَحْسِرُ عِنْدَ ذَلِكَ وَيَدْعُ الدُّعَاءَ"^٣.

وكان النبي ﷺ يلتزم الدعاء ويستمر به استمراً شديداً، وقد أشار إلى هذا عمر الخطاب فقال: "لَمَّا كَانَ يَوْمَ بَدْرٍ نَظَرَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ إِلَى الْمُشْرِكِينَ وَهُمْ أَلْفٌ، وَأَصْحَابُهُ ثَلَاثٌ مِائَةٍ وَتِسْعَةٌ عَشَرَ رَجُلًا، فَاسْتَقْبَلَ نَبِيَّ اللَّهِ ﷺ الْقِبْلَةَ، ثُمَّ مَدَّ يَدَيْهِ، فَجَعَلَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ: "اللَّهُمَّ أَنْجِرْ لِي مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ آتِ مَا وَعَدْتَنِي، اللَّهُمَّ إِنْ تَهْلِكُ هَذِهِ الْعِصَابَةُ مِنْ أَهْلِ الْإِسْلَامِ لَا تُعْبَدُ فِي الْأَرْضِ"، فَمَا زَالَ يَهْتِفُ بِرَبِّهِ، مَا دَامَ يَدَيْهِ مُسْتَقْبِلِ الْقِبْلَةِ، حَتَّى مَقَطَ رِدَائُهُ عَنِ مَنْكَبَيْهِ، فَأَنَاهُ أَبُو بَكْرٍ فَأَخَذَ رِدَاءَهُ، فَأَلْفَاهُ عَلَى مَنْكَبَيْهِ، ثُمَّ التَّرَمَّهُ مِنْ وَرَائِهِ، وَقَالَ: يَا نَبِيَّ اللَّهِ، كَفَاكَ مُنَاشِدَتُكَ رَبِّكَ، فَإِنَّهُ سَيُنْجِرُ لَكَ مَا وَعَدَكَ، فَأَنْزَلَ اللَّهُ ﷻ: ﴿إِذْ تَسْتَغِيثُونَ رَبَّكُمْ فَاسْتَجَابَ لَكُمْ أَنِّي مُمِدُّكُمْ بِالْفِ مِّنَ الْمَلَائِكَةِ مُرْدِفِينَ﴾^٤. وقال ابن مسعود: "وَكَانَ إِذَا دَعَا دَعَا ثَلَاثًا، وَإِذَا سَأَلَ سَأَلَ ثَلَاثًا"^٥.

^١ هو أبو جعفر أحمد بن نصر الداودي، شيخ الإسلام، فقيه أئمة المالكية، توفي سنة ٤٠٢ هـ.

^٢ ابن حجر. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج ١١، ص ١٤٠.

^٣ مسلم بن الحجاج. د.ت. صحيح مسلم. كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار. باب بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يعجل فيقول: دعوت فلم يستجب لي. ج. ٤: ٢٠٩٦. رقم الحديث ٢٧٣٥.

^٤ مسلم بن الحجاج. د.ت. صحيح مسلم. كتاب الجهاد والسير. باب الإمداد بالملائكة في غزوة بدر وإباحة الغنائم. ج. ٣: ١٣٨٣. رقم الحديث ١٧٦٣.

^٥ مسلم بن الحجاج. د.ت. صحيح مسلم. كتاب الجهاد والسير. وباب ما لقي النبي ﷺ من أذى المشركين والمنافقين. ج. ٣: ١٤١٨. رقم الحديث ١٧٩٤.

ثالثًا: إظهار الذلة أثناء الدعاء

من قواعد الدعاء أن يظهر الداعي الذلة والمسكنة حال الدعاء، قال عَلَيْكَ: ﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْمُعْتَدِينَ﴾^١، والضراعة هو الضعف والذلة^٢، قال ابن كثير^٣ (٧٧٤ هـ): ﴿أَدْعُوا رَبَّكُمْ تَضَرُّعًا وَخُفْيَةً﴾ معناه: تذللًا واستكانة^٤. وهو حقيقة الدعاء، كما أشار إليه الخطابي (٣٨٨ هـ) فقال: "وحيقيقته إظهار الافتقار إليه، والتبرؤ من الحول والقوة، وهو سمة العبودية، واستشعار الذلة البشرية"^٥.

وقد أشار الهدي النبوي إلى بعض مظاهر الذلة أثناء الدعاء، وهي:

١. الاعتراف بالذنب والذلة في الدعاء

علم النبي ﷺ أبا بكر الدعاء، وفيه أن يظهر الاعتراف بالذنوب والذلة، حيث قال أبو بكر للنبي ﷺ: "عَلِمْتَنِي دُعَاءً أَدْعُو بِهِ فِي صَلَاتِي، قَالَ: "قُلْ: اللَّهُمَّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي ظُلْمًا كَثِيرًا، وَلَا يَغْفِرُ الذُّنُوبَ إِلَّا أَنْتَ، فَاعْفُرْ لِي مَعْفِرَةً مِنْ عِنْدِكَ، وَارْحَمْنِي إِنَّكَ أَنْتَ الْعَفُورُ الرَّحِيمُ"^٦.

^١ القرآن. الأعراف ٥٥:٧

^٢ الراغب الأصفهاني. ١٤١٢ هـ. المفردات في غريب القرآن. ج ١، ص ٥٠٦.

^٣ هو عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر بن كثير، الحافظ المؤرخ المفسر، ولد سنة ٧٠١ هـ، وتوفي سنة ٧٧٤ هـ، ومن مؤلفاته: تفسير القرآن العظيم، والبداية والنهاية، وجامع السنن والمسانيد، وغيرها.

^٤ ابن كثير، إسماعيل بن عمر. ١٩٩٩. تفسير القرآن العظيم. د.م: دار طيبة للنشر والتوزيع. ج ٣، ص ٤٢٧.

^٥ الخطابي. ١٩٩٢. شأن الدعاء. ص ٤.

^٦ البخاري. ١٤٢٢ هـ. صحيح البخاري. كتاب الدعوات. باب الدعاء في الصلاة. ج. ٨:٧٢. رقم الحديث ٦٣٢٦.

٢. خفض الصوت أثناء الدعاء

ومن مظاهر الذلة في الدعاء أن لا يجهر الداعي بدعائه، ولهذا أثنى الله ﷻ على نبيه

زكريا عليه السلام^١ بقوله: ﴿إِذْ نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً خَفِيًّا﴾^٢، وقد أكد النبي ﷺ هذا المعنى فأمر أصحابه

بعدم رفع أصواتهم أثناء مناجاة الله، فقال: "أَيُّهَا النَّاسُ ارْبِعُوا عَلَيَّ أَنْفُسِكُمْ، إِنَّكُمْ لَيْسَ تَدْعُونَ

أَصَمًّا وَلَا غَائِبًا، إِنَّكُمْ تَدْعُونَ سَمِيعًا قَرِيبًا، وَهُوَ مَعَكُمْ"^٣.

وعلى التّووي (٦٧٦ هـ) سبب الحث على خفض الصوت في الدعاء، بقوله: "سبب

ذلك أنها كلمة استسلام وتفويض إلى الله تعالى واعتراف بالإذعان له وأنه لا صانع غيره ولا راد

لأمره وأن العبد لا يملك شيئاً من الأمر"^٤. وقال ابن تيمية أيضاً (٧٢٨ هـ): "أنه أبلغ في التضرع

والخشوع الذي هو روح الدعاء ولبه ومقصوده. فإن الخاشع الدليل إنما يسأل مسألة مسكين ذليل

قد انكسر قلبه، وذلت حوارحه وخشع صوته؛ حتى أنه ليكاد تبلغ ذلته وسكينته وضراعتة إلى أن

ينكسر لسانه فلا يطأوعه بالنطق، وقلبه يسأل طالباً مبتهلاً ولسانه لشدة ذلته ساكناً وهذه الحال

لا تأتي مع رفع الصوت بالدعاء أصلاً"^٥.

^١ ابن تيمية. ١٩٩٥. مجموع الفتاوى. ج ١٥، ص ١٦.

^٢ القرآن. مريم ١٩:٣.

^٣ مسلم بن الحجاج. د.ت. صحيح مسلم. كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار. باب استحباب خفض الصوت بالذكر. ج. ١٠٧٦:٤.

رقم الحديث ٢٧٠٤.

^٤ النووي. ١٣٩٢ هـ. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. ج ١٧، ص ٢٦.

^٥ ابن تيمية. ١٩٩٥. مجموع الفتاوى. ج ١٥، ص ١٦.

٣. رفع اليدين أثناء الدعاء

رفع اليدين أثناء الدعاء من مظاهر اعتراف ذلة العبد، واليقين بعلو ربه عَلَى قُدْرَتِهِ، قال عطية محمد عطية صقر^١ (١٤٢٦ هـ): "إن مد اليدين عند الدعاء يشبه ما يحدث عند طلب الفقير إحساناً من الغني، فعند شدة الحاجة قد بحثوا السائل على ركبته، يستدر بهذا الوضع عطف المسئول، وهو في هذا الوضع المتذلل يرفع يديه إلى أعلى يتلقى بهما الإحسان، فالمسلم الذي يدعو ربه يرفع يديه دليلاً على تذله وشدة حاجته"^٢.

٤. مراعاة الهيئة واللباس أثناء الدعاء

من مظاهر الذلة أثناء الدعاء في الهدى النبوي مراعاة الهيئة واللباس عند طلب الحاجة، فقد ورد في الحديث كون الداعي يرفع يديه بالدعاء وهو أشعث وأغبر^٣، وهي علامة على شدة الطلب وكناية عن الحاجة الشديدة^٤، بل هو من مقتضيات الإجابة كما جاء في قول النبي ﷺ: "رَبِّ أَشْعَثَ مَدْفُوعٍ بِالْأَبْوَابِ لَوْ أَقْسَمَ عَلَى اللَّهِ لِأَبْرَةٍ"^٥. ولما سئل ابن عباس عن صلاة الرسول ﷺ في الاستسقاء، قال: "خَرَجَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ مُتَبَدِّلاً مُتَوَاضِعًا مُتَضَرِّعًا حَتَّى أَتَى الْمُصَلِّي"^٦. وهذا

^١ هو عطية محمد عطية صقر، عالم إسلامي ومن كبار علماء الأزهر، ولد سنة ١٣٣٣ هـ، وتوفي سنة ١٤٢٦ هـ، ومن مؤلفاته: دراسات إسلامية لأهم القضايا المعاصرة، البابية والبهائية تاريخاً ومذهباً، الدين العالمي ومنهج الدعوة إليه، وغيرها.

^٢ صقر، عطية محمد عطية. ٢٠١٠. موسوعة أحسن الكلام في فتاوى الأحكام. القاهرة: مكتبة وهبة. ج ٤، ص ٥٢٣.

^٣ مسلم بن الحجاج. د.ت. صحيح مسلم. كتاب الزكاة. باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وترتيبها. ج ٢: ٧٠٣. رقم الحديث ١٠١٥.

^٤ القضاة، شرف محمود. ٢٠٠٨. الحديث النبوي الشريف: شرح سبعة وثلاثين حديثاً. عمان: دار الرازي للطباعة والنشر والتوزيع. ص ٧٦.

^٥ مسلم بن الحجاج. د.ت. صحيح مسلم. كتاب البر والصلة والآداب. باب فضل الضعفاء والخاملين. ج ٤: ٢٠٢٤. رقم الحديث ٢٦٢٢.

^٦ أبو داود، سليمان بن أشعث. ٢٠٠٩. سنن أبي داود. د.م: دار الرسالة العالمية. كتاب الصلاة. باب جماع أبواب صلاة الاستسقاء وتفرعها. ج ٢: ٣٦٧. رقم الحديث ١١٦٥.

يعني أنه لا يصح عقلاً أن يتوجه مسلمٌ بالدعاء إلى الله ﷻ، وطلب قضاء حاجةٍ له، مع ظهور علامات البذخ والترف عليه أثناء ذلك.

رابعاً: الثقة بالله واليقين بالإجابة

مما ينبغي أن يلتزم به الداعي أثناء الدعاء الثقة التامة بالله ﷻ، مع اليقين بالإجابة، فقد قال النبي ﷺ: "ادْعُوا اللَّهَ وَأَنْتُمْ مُؤْمِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، وَاعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ دُعَاءَ مَنْ قَلْبٍ غَافِلٍ لَاهٍ" ، وفي حديثٍ آخر أنه ﷺ قال: "الْقُلُوبُ أَوْعِيَّةٌ، وَبَعْضُهَا أَوْعَى مِنْ بَعْضٍ، فَإِذَا سَأَلْتُمْ اللَّهَ عَزَّ وَجَلَّ، أَيُّهَا النَّاسُ، فَاسْأَلُوهُ وَأَنْتُمْ مُؤْمِنُونَ بِالْإِجَابَةِ، فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَسْتَجِيبُ لِعَبْدٍ دَعَاهُ عَنْ ظَهْرِ قَلْبٍ غَافِلٍ"^٢.

وقال الله ﷻ في الحديث القدسي كما جاء في حديث أبي هريرة، أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إِنَّ اللَّهَ يَقُولُ: أَنَا عِنْدَ ظَنِّ عَبْدِي بِي وَأَنَا مَعَهُ إِذَا دَعَانِي"^٣. قال القرطبي (٦٧١ هـ): "قيل معنى ظن عبيدي بي ظن الإجابة عند الدعاء وظن القبول عند التوبة وظن المغفرة عند الاستغفار وظن المجازاة عند فعل العبادة"^٤.

ومن لم يثق بالله ﷻ ويعتقد أنه لا يستجيب له دعاءه يخاف عليه أن يقع في كبيرة من الكبائر، وقد أشار إلى هذا المباركفوري (١٣٥٣ هـ) فقال: "ينبغي للمرء أن يجتهد في القيام بما عليه موقناً بأن الله

^١ الترمذي. ١٩٩٨. سنن الترمذي. أبواب الدعوات عن رسول الله ﷺ. باب جامع الدعوات عن النبي ﷺ. ج. ٥: ٥١٧. رقم الحديث ٣٤٧٩. حسنه الألباني.

^٢ أحمد بن حنبل. ٢٠٠١. مسند الإمام أحمد بن حنبل. د.م: مؤسسة الرسالة. مسند عبد الله بن عمرو بن العاص ﷺ. ج. ١١: ٢٣٥. رقم الحديث ٦٦٥٥. ضعفه شعيب الأرنؤوط، مع ذلك قال: "ومعنى الحديث صحيح إذ لا بد مع الدعاء من حضور القلب والإيقان بالإجابة".

^٣ مسلم بن الحجاج. د.ت. صحيح مسلم. كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار. باب فضل الذكر والدعاء والتقرب إلى الله تعالى. ج. ٤: ٢٠٦٧. رقم الحديث ٢٦٧٥.

^٤ ابن حجر. ١٣٧٩ هـ. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج ١٣، ص ٣٨٥.

يقبله ويغفر له لأنه وعد بذلك وهو لا يخلف الميعاد، فإن اعتقد أو ظن أن الله لا يقبلها وأنها لا تنفعه

فهذا هو اليأس من رحمة الله وهو من الكبائر"^١.

وإذا أراد الله ﷻ أن يستجيب الدعاء، فإنه يكون في صورٍ متعددة^٢، وهي:

١. أن يستجيب الدعاء بذاته عاجلاً، أي أن يعطي الله ﷻ الداعي ما طلبه تحديداً.

٢. أن يستجيب الدعاء بذاته عاجلاً لحكمةٍ لا يعلمها إلا الله ﷻ.

٣. أن يعطي الداعي خيراً آخر غير الذي طلبه، فقد يدعو الداعي بشيءٍ يعتقد أنه خيرٌ له، وهو في

الحقيقة شرٌّ له، فيبدله الله ﷻ بخيرٍ مما سأل، رحمةً به، وعطفاً عليه.

٤. أن يصرف الله ﷻ عن الإنسان شرّاً بسبب الدعاء.

٥. أن يدخر الله ﷻ الدعاء إلى يوم القيامة، فيعطي السائل على دعائه الأجر، وهذا يعتبر من أنفع

أنواع الاستجابة، لأن أي شيءٍ من الآخرة هو أعظم من الدنيا وما فيها.

خامساً: ملازمة الأعمال الصالحة واجتناب المعاصي

من قواعد الدعاء أن يلازم الداعي الأعمال الصالحة، ويبتعد المعاصي قبل الشروع في الدعاء،

فهو من أسباب استجابة الدعاء وأسرارها، فقد ورد في حديث أصحاب الغار حين انحدرت عليهم صخرةٌ

من الجبل فسدت عليهم فتحة الغار، فتوسلوا إلى الله بأعمالهم الصالحة، ودعوا بها، فاستجاب الله ﷻ لهم،

فخرجوا يمشون^٣.

^١ المباركفوري. د.ت. تحفة الأحوذى شرح جامع الترمذي. ج ٧، ص ٥٤.

^٢ القضاة. ٢٠٠٨. الحديث النبوي الشريف: شرح سبعة وثلاثين حديثاً. ص ٧٦.

^٣ البخاري. ١٤٢٢ هـ. صحيح البخاري. كتاب أحاديث الأنبياء. باب حديث الغار. ج. ٤: ١٧٢. رقم الحديث ٣٤٦٥.

وورد في حديث آخر أمر النبي ﷺ بملازمة الحلال واجتناب المحرمات، ففي الحديث أن أبا هريرة

قال، قال رسول الله ﷺ: "أَيُّهَا النَّاسُ، اللَّهُ طَيِّبٌ لَا يَقْبَلُ إِلَّا طَيِّبًا، وَإِنَّ اللَّهَ أَمَرَ الْمُؤْمِنِينَ بِمَا أَمَرَ بِهِ الْمُرْسَلِينَ،

فَقَالَ: ﴿يَأَيُّهَا الرُّسُلُ كُلُّوا مِنَ الطَّيِّبَاتِ وَأَعْمَلُوا صَالِحًا إِنِّي بِمَا تَعْمَلُونَ عَلِيمٌ﴾، وَقَالَ: ﴿كُلُوا مِنْ

طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ﴾، ثُمَّ ذَكَرَ الرَّجُلُ يُطِيلُ السَّفَرَ أَشْعَثَ أَغْبَرَ، يُمُدُّ يَدَيْهِ إِلَى السَّمَاءِ، يَا رَبِّ، يَا رَبِّ،

وَمَطَعُمُهُ حَرَامًا، وَمَشْرَبُهُ حَرَامًا، وَمَلْبَسُهُ حَرَامًا، وَعُذِي بِالْحَرَامِ، فَأَنَّى يُسْتَجَابُ لِذَلِكَ؟"^١.

فظهر من خلال الحديث أن الأعمال الصالحة، واجتناب المعاصي والمحرمات لها أثر كبير في

استجابة الدعاء، وقد ذكر ابن قيم الجوزية (٧٥١ هـ) موانع استجابة الدعاء، وأنها تدور حول فعل المحرمات

والمعاصي، مثل أكل الحرام، والظلم، ورين الذنوب، واستيلاء الغفلة، والشهوة، واللهو^٢.

وقال ابن رجب الحنبلي^٣ (٧٩٥ هـ): "وقد يكون ارتكاب المحرمات الفعلية مانعًا من الإجابة

أيضًا، وكذلك ترك الواجبات كما في الحديث أن ترك الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر يمنع استجابة دعاء

الأخيار، وفعل الطاعات يكون موجبًا لاستجابة الدعاء"^٤.

وقال بعض السلف: "لا تستبطن الإجابة، وقد سددت طرقها بالمعاصي"^٥، وأخذ هذا المعنى

بعض الشعراء فقال:

^١ مسلم بن الحجاج. د.ت. صحيح مسلم. كتاب الزكاة. باب قبول الصدقة من الكسب الطيب وتربيتها. ج. ٧٠٣:٢. رقم الحديث ١٠١٥.

^٢ ابن القيم، محمد بن أبي بكر. ١٩٩٧. الجواب الكافي لمن سأل عن الدواء الشافي. المغرب: دار المعرفة. ج ١، ص ٩.

^٣ عبد الرحمن بن الحسن بن محمد بن أبي البركات مسعود البغدادي الدمشقي الحنبلي، الشيخ، المحدث، الحافظ، ولد سنة ٧٠٦ هـ، وتوفي سنة ٧٩٥ هـ، ومن مؤلفاته: شرح علل الترمذي، وذيل الطبقات الحنابلة، ولطائف المعارف. أنظر: ابن حجر، الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، ج ٣ ص ١٠٨.

^٤ ابن رجب الحنبلي، زين الدين عبد الرحمن بن أحمد. ٢٠٠١. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثًا من جوامع الكلم. بيروت: مؤسسة الرسالة. ص ٢٦٩.

^٥ القحطاني، سعيد علي بن وهف. د.ت. شروط الدعاء وموانع الإجابة في ضوء الكتاب والسنة. د.م: د.ن. ص ٣٤.

نحن ندعو الإله في كل كربٍ ... ثم ننسأه عند كشف الكروبِ

كيف نرجو إجابة لدعاءٍ ... قد سدّنا طريقها بالذنوب^١

UNIVERSITI SAINS ISLAM MALAYSIA
جامعة العلوم الإسلامية الماليزية
ISLAMIC SCIENCE UNIVERSITY OF MALAYSIA

^١ ابن رجب. ٢٠٠١. جامع العلوم والحكم في شرح خمسين حديثاً من جوامع الكلم. ص ٢٨٦.

المبحث الثاني:

القواعد الشرعية في ألفاظ الدعاء ومعانيه

من أهم ما ينبغي التنبيه إليه أثناء الدعاء مراعاة ألفاظه ومعانيه، فقد وردت جملةً من أحاديث النبي ﷺ ترشد إلى هذا، حتى يكون موافقاً لقواعده، ومقترباً بالإجابة.

المطلب الأول: القواعد الشرعية في ألفاظ الدعاء

من خلال النظر والتأمل في نصوص الكتاب والسنة، يمكن الكشف عن القواعد الشرعية المتعلقة بألفاظ الدعاء، وهي كما يأتي:

أولاً: أن لا يتكلف السجع في الدعاء

السجع هو مولاة الكلام على روي واحدٍ، وهو ما استوى واستقام من ألفاظ الدعاء فيشبه بعضها بعضاً^١. وقد ثبت النهي عن السجع في الدعاء، ففي حديث عبد الله بن عباس أنه قال: "فَانْظُرِ السَّجْعَ مِنَ الدُّعَاءِ فَاجْتَنِبْهُ، فَإِنِّي عَاهَدْتُ رَسُولَ اللَّهِ ﷺ وَأَصْحَابَهُ لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا دَلِكَ يَعْنِي لَا يَفْعَلُونَ إِلَّا دَلِكَ الْإِجْتِنَابَ"^٢.

وقد أعد القرطبي (٦٧١ هـ) السجع في الدعاء من أنواع الاعتداء فيه، ففي أثناء بيانه لأنواع الاعتداء في الدعاء قال: "ومنها أن يدعو بما ليس في الكتاب والسنة، فيتخير ألفاظاً مفقرة وكلمات مسجعة

^١ ابن حجر. ١٣٧٩ هـ. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج ١١، ص ١٣٩.

^٢ العقيلي، سعود بن محمد. ٢٠١٠. الاعتداء في الدعاء صور وضوابط ونماذج من الدعاء الصحيح. الرياض: دار كنوز إشبيلية للنشر والتوزيع. ص ٦٥.

^٣ البخاري. ١٤٢٢ هـ. صحيح البخاري. كتاب الدعوات. باب ما يكره من السجع في الدعاء. ج. ٧٤:٨. رقم الحديث ٦٣٣٧.

قد وجدها في كراريس لا أصل لها ولا معول عليها، فيجعلها شعاره ويترك ما دعا به رسوله عليه السلام، وكل هذا يمنع من استجابة الدعاء".^١

والسجع المنهي عنه في الدعاء هو السجع المتكلف، وإلا لدخل كثيرٌ من الأدعية النبوية الماثورة في هذا النهي أيضًا، بدلالة أن ابن حجر العسقلاني (٨٥٢ هـ) فرّق بين السجع الحمود والسجع المذموم، فقال إن السجع الحمود هو ما يأتي بانسجامٍ واتفاقٍ، وهو ما وقع كثيرًا في أدعية النبي ﷺ، بينما السجع المذموم فهو ما يأتي بتكلفٍ واستكراهٍ^٢، مثل قول: "اللهم إنا نسألك الأمن في البلد والصحة في الجسد والصلاح في الولد"، ومثل قول: "اللهم إنا نسألك رزقًا دارًا وعبشًا قارًا وعملاً سارًا"^٣.

وفي موضع آخر نقل ابن حجر العسقلاني (٨٥٢ هـ) قول أبو حامد الغزالي^٤ (٥٠٥ هـ) في السجع، حيث قال الغزالي (٥٠٥ هـ): "المكروه من السجع هو المتكلف لأنه لا يلائم الضراعة والذلة وإلا ففي الأدعية الماثورة كلمات متوازية لكنها غير متكلفة"^٥. وأما علّة نهي التكلف بالسجع في الدعاء، فقد قال فيه الغزالي (٥٠٥ هـ): "فإن حال الداعي ينبغي أن يكون حال متضرع والتكلف لا يناسبه"^٦.

ثانيًا: أن تكون ألفاظ الدعاء صحيحة إعرابًا

من القواعد التي ينبغي المحافظة عليها أثناء الدعاء مراعاة إعراب ألفاظه حتى ينسجم التعبير ويصح المعنى، وقد تبه الخطابي (٣٨٨ هـ) إلى هذا الأمر تبيينًا شديدًا، فقال: "ومما يجب أن يراعى في الأدعية الإعراب الذي هو عماد الكلام، وبه يستقيم المعنى، وبعدمه يختل ويفسد، وربما انقلب المعنى باللحن حتى

^١ القرطبي. ١٩٦٤. الجامع لأحكام القرآن. ج ٧، ص ٢٢٦.

^٢ ابن حجر. ١٣٧٩ هـ. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج ٧، ص ٤٠٧.

^٣ العقيلي. ٢٠١٠. الاعتداء في الدعاء صور وضوابط ونماذج من الدعاء الصحيح. ص ٦٥.

^٤ هو أبو حامد محمد بن محمد بن أحمد الغزالي الطوسي النيسابوري، الشيخ، الإمام، البحر، حجة الإسلام، أعجوبة الزمان، ولد سنة ٤٥٠ هـ، وتوفي سنة ٥٠٥ هـ، ومن مؤلفاته: إحياء علوم الدين، والمنقذ من الضلال، وتحافت الفلاسفة، والمستصفي، وغيرها.

^٥ ابن حجر. ١٣٧٩ هـ. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج ١١، ص ١٥٩.

^٦ الغزالي، محمد بن محمد الطوسي. د.ت. إحياء علوم الدين. بيروت: دار المعرفة. ج ١، ص ٣٠٥.

يصير كالكفر، إن اعتقده صاحبه، كدعاء من دعا أو قراءة من قرأ: ﴿إِيَّاكَ نَعْبُدُ وَإِيَّاكَ نَسْتَعِينُ﴾

بتخفيف الياء من إِيَّاكَ، فإن الأياء ضياء الشمس، فيصير كأنه يقول شمسك نعبد، وهذا كفر^١.

وقال الخطابي (٣٨٨ هـ) أيضًا: "وأخبرني أحمد بن إبراهيم بن إسماعيل، قال حدثنا ابن المرزبان

عن الرياشي قال: "مر الأصمعي برجل يقول في دعائه "يا دُو الجلال والإكرام"، فقال: ما اسمك؟، قال:

ليث، فأنشأ يقول:

ينادي ربه باللحن ليث ... لذاك إذا دعاه لا يجيب"^٢.

وقد ذكر بكر عبد الله أبو زيد (١٤٢٩ هـ) بعض الشروط في الدعاء، منها أن تكون ألفاظه على

وفق المعنى العربي، ومقتضى العلم الإعرابي^٣.

ثالثًا: أن يتحرى جوامع الألفاظ أثناء الدعاء

الجوامع هو الكلام الذي قلّ عدد حروفه، وكثرت معانيه، وجلّ عن الصنعة، ونزه عن التكلف^٤.

وقد كانت أدعية النبي ﷺ تأتي بجوامع الألفاظ مع قصر العبارات^٥، إلا أنها تحمل معاني عظيمة وجليلة.

وقد أرشد النبي ﷺ إلى الدعاء بجوامع اللفظ، ففي حديث عائشة قالت: "كَانَ رَسُولُ اللَّهِ ﷺ

يَسْتَحِبُّ الْجَوَامِعَ مِنَ الدُّعَاءِ، وَيَدْعُ مَا سِوَى ذَلِكَ"^٦.

^١ الخطابي. ١٩٩٢. شأن الدعاء. ص ١٩.

^٢ المرجع نفسه. ص ٢٠.

^٣ بكر أبو زيد. ١٩٩٩. تصحيح الدعاء. ص ٤٣.

^٤ عتر، نور الدين. ٢٠١٣. في ظلال الحديث النبوي ومعالم البيان النبوي. القاهرة: دار السلام للطباعة والنشر والتوزيع والترجمة. ص ٣٨٩.

^٥ الشريف. ٢٠١٢. الدعاء في الحديث النبوي الشريف: أساليبه ودلالاته. ص ١٥٨.

^٦ أبو داود. ٢٠٠٩. سنن أبي داود. أبواب فضائل القرآن. باب الدعاء. ج. ٦٠٥:٢. رقم الحديث ١٤٨٢. سكت عنه أبو داود، وصححه

السيوطي في الجامع الصغير، وقال النووي في الأذكار: "إسناده جيد".

وقال أبو أمامة: "دَعَا رَسُولُ اللَّهِ ﷺ بِدُعَاءٍ كَثِيرٍ لَمْ نَحْفَظْ مِنْهُ شَيْئًا، قُلْنَا: يَا رَسُولَ اللَّهِ دَعَوْتَ بِدُعَاءٍ كَثِيرٍ لَمْ نَحْفَظْ مِنْهُ شَيْئًا، فَقَالَ: "أَلَا أَدُلُّكُمْ عَلَى مَا يَجْمَعُ ذَلِكَ كُلَّهُ، تَقُولُ: اللَّهُمَّ إِنَّا نَسْأَلُكَ مِنْ خَيْرِ مَا سَأَلَكُ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ ﷺ وَنَعُودُ بِكَ مِنْ شَرِّ مَا اسْتَعَاذَ مِنْهُ نَبِيُّكَ مُحَمَّدٌ ﷺ، وَأَنْتَ الْمُسْتَعَانُ، وَعَلَيْكَ الْبَلَاءُ، وَلَا حَوْلَ وَلَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ".^١

ومن ذلك ما قاله الخطابي (٣٨٨ هـ): "ويستحب الاقتصار على جوامع الدعاء، ويكره الاعتداء فيه".^٢ وقد اعتبر سعود بن محمد العقيلي تكثير ألفاظ الدعاء بلا حاجةٍ داخلًا في أنواع الاعتداء في الدعاء^٣، وكذلك التطويل في تفصيل ألفاظ الدعاء، كالتفصيل عند الدعاء بأحوال البرزخ يوم القيامة، أو بأحوال الموت وسكراته، مثل قول: "اللهم ارحمنا إذا بردت القدمان وشخصت العينان وبيس منا اللسان"، وكذلك التفصيل عند الدعاء بالجنة، مثل قول: "اللهم إنا نسألك الجنة في سدر مخضود وطلح منضود وظل ممدود"^٤.

رابعًا: أن تكون ألفاظ الدعاء مناسبةً للمعنى المراد

ينبغي للداعي اختيار ألفاظ الدعاء المناسبة للمراد، والحالية من محظورات الشرع، وقد تقدم ذكر قول بكر عبد الله أبو زيد (١٤٢٩ هـ)، واشترطه أن تكون ألفاظ الدعاء على وفق المعنى العربي ومقتضى العلم الإعرابي^٥، ثم اشترطه أيضًا أن يكون اللفظ خاليًا من أي محذورٍ شرعيًا، لفظًا كان أو معنى^٦.

^١ الترمذي. ١٩٩٨. سنن الترمذي. أبواب الدعوات. باب ما جاء في عقد التسييح باليد. ج. ٥: ٥٣٧. رقم الحديث ٣٥٢١. قال الترمذي: هذا حديث حسن.

^٢ الخطابي. ١٩٩٢. شأن الدعاء. ص ١٤.

^٣ العقيلي. ٢٠١٠. الاعتداء في الدعاء صور وضوابط ونماذج من الدعاء الصحيح. ص ٧٦.

^٤ المرجع نفسه. ص ٦٤.

^٥ بكر أبو زيد. ١٩٩٩. تصحيح الدعاء. ص ٤٣.

^٦ المرجع نفسه.

قال الخطابي (٣٨٨ هـ): "وليتخير لدعائه والثناء على ربه أحسن الألفاظ وأنبلها، وأجمعها للمعاني

وأبينها، لأنه مناجاة العبد سيد السادات الذي ليس له مثل" ^١.

وذكر مصطفى العدوي في الدعاء بأسماء الله الحسنى: "هنا أمر ينبغي التفطن له، وهو اختيار اسم من أسماء الله موافق للمسألة التي نريدها ونسألها. فإذا سألنا الله الرزق فلنسأله باسمه الرزاق، وإذا سألناه الرحمة فلنسأله بالرحيم وبالرحمن، وإذا سألناه المغفرة فلنسأله باسمه الغفور، وهكذا باقي المسائل" ^٢.

خامساً: أن تكون ألفاظ الدعاء خالية من الاستثناء والتعليق

الاستثناء في الدعاء هو تعليق الدعاء بمشيئة الله ﷻ، أو بالشرط، أو بلفظ "إلا" وما بمعناها ^٣. فقد نهي النبي ﷺ عن الاستثناء في الدعاء، حيث قال ﷺ: "إِذَا دَعَا أَحَدُكُمْ فَلْيَعِزِّمِ الْمَسْأَلَةَ، وَلَا يَقُولَنَّ: اللَّهُمَّ إِنْ شِئْتَ فَأَعْطِنِي، فَإِنَّهُ لَا مُسْتَكْرَهَ لَهُ" ^٤.

وقد ذكر المباركفوري (١٣٥٣ هـ) بأن التعليق في الدعاء منهي عنه لأنه لا يتحقق استعمال المشيئة إلا في حق من يتوجه عليه الإكراه، والله ﷻ ممتز عن ذلك، وهو معنى قوله ﷺ في آخر الحديث فإنه لا مستكره له ^٥. قال النووي (٦٧٦ هـ): "وقيل سبب الكراهة أن في هذا اللفظ صورة الاستعفاء على المطلوب والمطلوب منه" ^٦.

^١ الخطابي. ١٩٩٢. شأن الدعاء. ص ١٥.

^٢ مصطفى بن العدوي. ٢٠٠١. فقه الدعاء. طنطا: مكتبة مكة. ص ٢٨.

^٣ التركي، عبد الرحمن بن عبد الله. ٢٠١٢. "الاستثناء في الدعاء: دراسة عقدية". مجلة العلوم الشرعية. عدد (٢٤). يونيو. ص ٤١.

^٤ البخاري. ١٤٢٢ هـ. صحيح البخاري. كتاب الدعوات. باب ليعزم المسألة فإنه لا مكروه له. ج. ٧٤:٨. رقم الحديث ٥٨٦٣.

^٥ المباركفوري. د.ت. تحفة الأhoodي بشرح جامع الترمذي. ج ٩، ص ٣٣٠.

^٦ النووي. ١٣٩٢ هـ. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. ج ١٧، ص ٧.

ومع ذلك، يجدر الانتباه إلى أن التعليق والاستثناء المنهي عنه في الدعاء هو ما يتعلق بالمطالب

التي هي خيرٌ محضٌ، بينما التعليق والاستثناء في المطالب التي يجهل الداعي خيرها وشرها فهو جائزٌ، إذ أنه عبارةٌ عن تسليم الأمر إلى اختيار الله ﷻ للعالم بحقائق الأشياء وبواطنها.

وقد قال ابن رجب الحنبلي (٧٩٥ هـ) في ذلك: "اعلم أن الحاجات التي يطلبها العبد من الله ﷻ نوعان، أحدهما ما علم أنه خير محض كسؤاله خشيته من الله تعالى وطاعته وتقواه، وسؤاله الجنة، والاستعاذة به من النار، فهذا يطلب من الله تعالى بغير تردد، ولا تعليق بالعلم بالمصلحة؛ لأنه خير محض، ومصلحة خالصة؛ فلا وجه لتعليقه بشرط وهو معلوم الحصول، وكذلك لا يعلق لمشية الله ﷻ؛ لأن الله يفعل ما يشاء ولا مُكره له فلا فائدة في تعليقه بمشية، ولكن ليعزم المسألة"^٢.

وذكر ابن رجب الحنبلي (٧٩٥ هـ) النوع الثاني أيضًا فقال: "النوع الثاني ما لا يعلم هل هو خير للعبد أم لا، كالموت والحياة، والغنى والفقر، والولد والأهل، وكسائر حوائج الدنيا التي تُجْهَل عواقبها، فهذه لا ينبغي أن يسأل الله منها إلا ما يعلم فيه الخير للعبد، فإن العبد جاهل بعواقب الأمور، وهو مع هذا عاجز عن تحصيل مصالحه ودفع مضاره، فيتعين عليه أن يسأل حوائجه من هو عالم قادر، ولهذا شرعت الاستخارة في الأمور الدنيوية كلها"^٣.

^١ التركي، عبد الرحمن بن عبد الله. ٢٠١٢. "الاستثناء في الدعاء: دراسة عقدية". ص ٤١.

^٢ ابن رجب، عبد الرحمن بن أحمد. ٢٠٠٣. مجموع رسائل الحافظ ابن رجب الحنبلي. د.م: الفاروق الحديثة للطباعة والنشر. ج ١، ص

١٥٤.

^٣ المرجع نفسه.

المطلب الثاني: القواعد الشرعية في معاني الدعاء

كما أشارت النصوص الشرعية إلى المحافظة على قواعد ألفاظ الدعاء، فقد أشارت أيضاً إلى المحافظة على قواعد أخرى فيما يتعلق بمعاني الدعاء، وهي كما يأتي:

أولاً: النهي عن سؤال الأمر محال الحدوث

ليس هناك أي مسألة أو أمر يستحيل حدوثه وقدرته على الله ﷻ، إلا أن المقصود باستحالة الحدوث هنا ما أشار إليه الخطابي (٣٨٨ هـ) فقال: "ولا يجوز أن يدعا بالحال، وأن يطلب ما لا مطمع فيه، كمن يدعو الخلود في الدنيا، وقد علم أن الله سبحانه استأثر بالبقاء، وكتب الفناء على جميع خلقه".^١ وقال بدر الدين الزركشي^٢ (٧٩٤ هـ) نقلاً عن الحسين بن الحسن الحلبي^٣ (٤٠٣ هـ) عند ذكره شروط الدعاء: "أن لا يكون المسؤل ممتنعاً عقلاً ولا عادةً كإحياء الموتى ورؤية الله في الدنيا وإنزال مائدة من السماء أو ملك يخبره بأخبارها وغير ذلك من الخوارق التي كانت للأنبياء"^٤.

ومن صور مسألة المحالة الحدوث أيضاً دعاء طلب نفي ما دل الشرع على ثبوته، كدعاء المغفرة للكفار ونفي خلودهم في النار، ودعاء طلب ثبوت أمر دل الشرع على نفيه كسؤال العصمة من الذنوب

^١ الخطابي. ١٩٩٢. شأن الدعاء. ص ١٥.

^٢ هو در الدين أبو عبد الله محمد بن عبد الله بن بهادر الزركشي، الفقيه الأصولي، المحدث المفسر، ولد سنة ٧٤٥ هـ في مصر، وتوفي سنة ٧٩٤ هـ، له: البرهان في علوم القرآن، البحر المحيط في أصول الفقه، والتذكرة في الأحاديث المشتهرة، وغيرها.

^٣ هو الحسين بن الحسن بن محمد بن حليم، القاضي، العلامة، رئيس المحدثين والمتكلمين، ولد سنة ٣٣٨ هـ، وتوفي سنة ٤٠٣ هـ، له: المنهاج في شعب الإيمان. أنظر: الذهبي، سير أعلام النبلاء، ج ١٧، ص ٢٣١.

^٤ الزركشي، محمد بن بهادر. ١٩٨٨. الأهمية في أحكام الأدعية. د.م: دار الفرقان. ص ٥٧.

والخطايا، لأنه قد ثبت في قوله ﷺ أن ابن آدم خطاء، فقال ﷺ: "كُلُّ ابْنِ آدَمَ خَطَّاءٌ وَخَيْرُ الْخَطَّائِينَ التَّوَّابُونَ"^٢.

ثانياً: النهي عن سؤال الإثم وقطيعة الرحم

الدعاء كله مستجاب وبصورٍ متعددة، كما أشار إلى ذلك النبي ﷺ فقال: "مَا عَلَى الْأَرْضِ مُسْلِمٍ يَدْعُو اللَّهَ بِدَعْوَةٍ إِلَّا آتَاهُ اللَّهُ إِيَّاهَا أَوْ صَرَفَ عَنْهُ مِنَ السُّوءِ مِثْلَهَا"^٣، ويستثنى من هذا ما كان في الدعاء من طلب الإثم وقطيعة الرحم، كما قال ﷺ: "لَا يَزَالُ يُسْتَجَابُ لِلْعَبْدِ، مَا لَمْ يَدْعُ بِإِثْمٍ أَوْ قَطِيعَةِ رَحِمٍ، مَا لَمْ يَسْتَعْجَلْ"^٤.

ويدخل في الإثم كل ما يأتى من الذنوب، كما يدخل في الرحم جميع حقوق المسلمين ومطالبهم^٥. ويرى المباركفوري (١٣٥٣ هـ) أن الإثم المذكور في الحديث هو الذي ما يأتى به الإنسان، أو هو الإثم نفسه، والقطيعة أي الحجران والصد، وهو ترك البر إلى الأهل الأقارب^٦.

ويرى الحسين بن الحسن الحلي (٤٠٣ هـ) أن الدعاء بالشرك داخل في هذا الأمر أيضاً^٧، مستدلاً بحديث الرجل الذي يلعن بغيره في السفر، فقال رسول الله ﷺ: "مَنْ هَذَا اللَّاعِنُ بَعِيرُهُ؟"، قَالَ: أَنَا يَا رَسُولَ

^١ العقيلي. ٢٠١٠. الاعتداء في الدعاء صور وضوابط ونماذج من الدعاء الصحيح. ص ٥٤.

^٢ الترمذي. ١٩٩٨. سنن الترمذي. صفة القيامة والرفائق والورع عن رسول الله ﷺ. باب ما جاء في صفة أواني الحوض. ج. ٤: ٦٥٩. رقم الحديث ٢٤٩٩. قال الترمذي: "هذا حديث غريب لا نعرفه إلا من حديث علي بن مسعدة عن قتادة"، وحسنه ابن حجر في تخرجه مشكاة المصابيح.

^٣ الترمذي. ١٩٩٨. سنن الترمذي. أبواب الدعوات. باب في باب في انتظار الفرج وغير ذلك. ج. ٥: ٥٦٦. رقم الحديث ٣٥٧٣. قال الترمذي: "وهذا حديث حسن صحيح غريب من هذا الوجه".

^٤ مسلم بن الحجاج. د.ت. صحيح مسلم. كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار. باب بيان أنه يستجاب للداعي ما لم يجعل فيقول دعوت فلم يستجب لي. ج. ٤: ٢٠٩٦. رقم الحديث ٢٧٣٥.

^٥ الزركشي. ١٩٨٨. الأهمية في أحكام الأدعية. ص ٥٨.

^٦ المباركفوري. د.ت. تحفة الأحوذى بشرح جامع الترمذي. ج ١٠، ص ١٨.

^٧ الزركشي. ١٩٨٨. الأهمية في أحكام الأدعية. ص ٥٨.

الله، قَالَ: انزِلَ عَنْهُ، فَلَا تَصْحَبْنَا بِمَلْعُونٍ^١. قال النووي (٦٧٦ هـ) في شرح هذا الحديث: "وفي هذا الحديث النهي عن لعن الدواب، وقد سبق بيان هذا مع الأمر بمفارقة البعير الذي لعنه صاحبه"^٢.

ثالثاً: النهي عن سؤال الموت

ثبت نهي النبي ﷺ عن دعاء الشخص على نفسه بالموت والهلاك مهما نزل به من مشاق الدنيا، والبلاء والضيق والمرض، فإن كان لا بد متمنياً فليدع الله ﷻ لما فيه صلاحه، واختيار الله ﷻ له بعد ذلك خير كله، وذلك من قول النبي ﷺ كما في ورد حديث أنس بن مالك، قال ﷺ: "لَا يَتَمَنَّيَنَّ أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ مِنْ ضَرِّ أَصَابِهِ، فَإِنْ كَانَ لَا بُدَّ فَأَعْلًا، فَلْيُقُلْ: اللَّهُمَّ أَحْبِبْنِي مَا كَانَتْ الْحَيَاةُ خَيْرًا لِي، وَتَوَقَّئِي إِذَا كَانَتْ الْوَفَاةُ خَيْرًا لِي"^٣.

أما تمني الموت خوفاً من ضرٍ أخرويٍ فجائزٌ، وهو الضر الذي له علاقة بالدين، قال ابن حجر العسقلاني (٨٥٢ هـ) مشيراً إلى هذا: "وقوله من ضر أصابه حمله جماعة من السلف على الضر الدنيوي، فإن وجد الضر الأخروي بأن خشي فتنة في دينه لم يدخل في النهي"^٤. وقال النووي أيضاً (٦٧٦ هـ): "فأما إذا خاف ضرراً في دينه أو فتنة فيه فلا كراهة فيه لمفهوم هذا الحديث وغيره، وقد فعل هذا الثاني خلائق من السلف عند خوف الفتنة في أديانهم"^٥.

وقد جاء التمني بالموت لأغراضٍ أخرويةٍ في بعض الأحاديث، مثل:

^١ مسلم بن الحجاج. د.ت. صحيح مسلم. كتاب الزهد والرقائق. باب حديث جابر الطويل وقصة أبي اليسر. ج. ٤: ٤٠٤. رقم الحديث ٣٠٠٩.

^٢ النووي. ١٣٩٢ هـ. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. ج ١٨، ص ١٣٩.

^٣ البخاري. ١٤٢٢ هـ. صحيح البخاري. كتاب المرضى. باب تمني المريض الموت. ج. ٧: ١٢١. رقم الحديث ٥٦٧١.

^٤ ابن حجر. ١٣٧٩ هـ. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج ١٠، ص ١٢٨.

^٥ النووي. ١٣٩٢ هـ. المنهاج شرح صحيح مسلم بن الحجاج. ج ١٧، ص ٧.

١. قال عبد الله بن عباس، قال رسول الله ﷺ: "اللَّهُمَّ إِنِّي أَسْأَلُكَ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ، وَتَرْكَ الْمُنْكَرَاتِ،

وَحُبَّ الْمَسَاكِينِ، وَإِذَا أَرَدْتَ بِعِبَادِكَ فِتْنَةً فَأَقْضِنِي إِلَيْكَ غَيْرَ مَفْتُونٍ"^١.

٢. وفي حديث أبي هريرة، قال النبي ﷺ: "لَا تَقُومُ السَّاعَةُ حَتَّى يَمُرَّ الرَّجُلُ بِقَبْرِ الرَّجُلِ فَيَقُولُ: يَا لَيْتَنِي

مَكَانُهُ"^٢، قال ابن بطال (٤٤٩ هـ) في شرح هذا الحديث: "تغبط أهل القبور وتمني الموت عند

ظهور الفتن إنما هو خوف ذهاب الدين بغلبة الباطل وأهله وظهور المعاصي والمنكر"^٣.

وأما الحكمة من وراء نهي سؤال الموت لوقوع مصائب الدنيا ومشاقها؛ لأن الحياة يلزم منها العمل،

والعمل يلزم منه زيادة الثواب، والموت يقطع هذا العمل^٤. وجاء في حديث أبي هريرة قوله ﷺ: "لَا يَتَمَنَّى

أَحَدُكُمْ الْمَوْتَ، وَلَا يَدْعُ بِهِ مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَهُ، إِنَّهُ إِذَا مَاتَ أَحَدُكُمْ انْقَطَعَ عَمَلُهُ، وَإِنَّهُ لَا يَزِيدُ الْمُؤْمِنَ عُمْرُهُ

إِلَّا خَيْرًا"^٥.

^١ الترمذي. ١٩٩٨. سنن الترمذي. أبواب تفسير القرآن. باب ومن سورة ص. ج. ٣٦٦:٥. رقم الحديث ٣٢٣٣. صححه الألباني.

^٢ البخاري. ١٤٢٢ هـ. صحيح البخاري. كتاب الفتن وأشراف الساعة. باب لا تقوم الساعة حتى يمر الرجل بقبر الرجل، فيتمنى أن يكون

مكان الميت من البلاء. ج. ٢٢٣١:٤. رقم الحديث ١٥٧.

^٣ ابن بطال. ٢٠٠٣. شرح صحيح البخاري. ج ١٠، ص ٥٨.

^٤ ابن حجر. ١٣٧٩ هـ. فتح الباري شرح صحيح البخاري. ج ١٠، ص ١٣٠.

^٥ مسلم بن الحجاج. د.ت. صحيح مسلم. كتاب الذكر والدعاء والتوبة والاستغفار. باب كراهية تمني الموت لضر نزل به. ج. ٢٠٦٥:٤.

رقم الحديث ٢٦٨٢.

المبحث الثالث:

القواعد الشرعية في الأدعية المقيدة

المراد بالأدعية المقيدة هي الأدعية التي تقيد بزمانٍ أو مكانٍ أو عبادةٍ أو جاء الشرع بتقييدها بعددٍ أو فضائلٍ ونحو ذلك من القيود، والبحث في مثل هذه الأدعية مختلفٌ عن البحث في الأدعية الأخرى المطلقة، حيث يمكن أن يخالف بعض قواعدها قواعد الأدعية العامة المطلقة والتي سبق دراستها في المباحث السابقة، أما القواعد في الأدعية المقيدة فهي كما يلي:

أولاً: أن لا يعتقد ثبوت الدعاء في مواضع وأوقات وأحوال معينة إلا بدليل صحيح

ورد في أحاديث كثيرةٍ حثه ﷺ على كثرة الدعاء في بعض المواضع والأوقات والأحوال، مثل الدعاء في عرفة، وعند رمي الجمرة، وفي داخل الكعبة، وكذلك الدعاء في وقت السحر، وفي يوم الجمعة^٢، وغيرها. ومع ذلك، ينبغي التنبيه على أن تخصيص تلك المواضع والأوقات والأحوال بالدعاء لا يكون إلا بدليلٍ صحيحٍ، وإلا دخل الداعي في البدعة بسبب إثبات مواضع وأوقات وأحوال معينةٍ للدعاء بشكلٍ خاصٍ مع عدم وجود الدليل الثابت والصحيح في ذلك.

وقد عرّف الشاطبي (٧٩٠ هـ) البدعة بأنها: "طريقة في الدين مخترعة، تضاهي الشرعية، يقصد بالسلوك عليها ما يقصد بالطريقة الشرعية"^٣. ثم أشار عند بيانه لقوله: "تضاهي الشرعية"، فقال: "ومنها التزام العبادات المعينة في أوقات معينة لم يوجد لها ذلك التعيين في الشريعة"^٤.

^١ القحطاني. د.ت. شروط الدعاء وموانع الإجابة في ضوء الكتاب والسنة. ص ٦٩.

^٢ البدر. د.ت. فقه الأدعية والأذكار. ج ٢، ص ١٠٤.

^٣ الشاطبي. ١٩٩٢. الاعتصام. ج ١، ص ٥١.

^٤ المرجع نفسه. ص ٥٣.

ثانيًا: أن لا يعتقد أفضلية الدعاء في مواضع وأوقات وأحوال معينة إلا بدليل صحيح

مما ينبغي مراعاته أيضًا في الأدعية المقيدة أن لا يعتقد الداعي أفضلية الدعاء في مواضع وأوقات وأحوال خاصة إلا بدليل صحيح، وإلا دخل فاعلها في البدعة الإضافية، حيث أضاف في الشرع ما يقتضيه عقله مما ليس فيه دليل ثابت.

قال الشاطبي (٧٩٠ هـ) في البدعة الإضافية: "أن يكون أصل العبادة مشروعًا، إلا أنها تخرج عن أصل شرعيتها بغير دليل توهمًا أنها باقية على أصلها تحت مقتضى الدليل، وذلك بأن يقيد إطلاقها بالرأي، أو يطلق تقييدها، وبالجملة، فتخرج عن حدها الذي حد لها".^١

ثالثًا: أن تقدم الأدعية الصحيحة في أوقات وأحوال مقيدة

الأولى في الأدعية المقيدة أن يأتي الداعي بالدعاء الوارد من الكتاب والسنة الصحيحة، فقد اشترط بكر أبو زيد (١٤٢٩ هـ) أن يؤتى بالدعاء المقيد على الوجه الذي ورد، ومن هذا الوجه أن يأتي الداعي بلفظ الدعاء الوارد في أحواله وزمانه ومكانه كما هو بدون زيادة ونقصانٍ وتبديلٍ.^٢

قال عبد الرحمن المعلمي (١٣٨٦ هـ): "فأما تحري الدعاء بلفظ معين يحفظه الرجل ويواظب عليه فإن كان ذلك لأنه ثبت في كتاب الله ﷻ أو ورد عن رسول الله ﷺ فحسن، ولكن الأولى أن يتتبع أدعية النبي ﷺ ويدع بكل منها في موضعه كما كان النبي ﷺ يصنع".^٣

^١ الشاطبي. ١٩٩٢. الاعتصام. ج ١، ص ٤٨٧.

^٢ بكر أبو زيد. ١٩٩٩. تصحيح الدعاء. ص ٤٢.

^٣ المعلمي، عبد الرحمن بن يحيى. ٢٠١١. العبادة. المملكة العربية السعودية: دار العاصمة للنشر والتوزيع. ص ٤١٢.